

الباب الثاني

التراث الشعبي للأزياء في بلاد الشام والعراق

مقدمة

الفصل الأول : التراث الشعبي للأزياء في
فلسطين (نساء - رجال).

الفصل الثاني : التراث الشعبي للأزياء في
المملكة الأردنية الهاشمية.

الفصل الثالث : التراث الشعبي للأزياء في
الجمهورية اللبنانية .

الفصل الرابع : التراث الشعبي للأزياء في
الجمهورية العراقية .

مقدمة

يتأثر الفن الشعبي في المناطق المختلفة بما حولها من مناطق أخرى ، فيأخذ كل منهما عن الآخر ، ولذلك فإننا نرى في الملابس الشعبية في الوطن العربي ملامح مشتركة لفنون اتخذت - برغم اختلاف مواطنها - سمة مشتركة تقرب بين مفاهيم الفنون في أنحاء العالم العربي بأسره .

والأزياء الشعبية في المناطق المتجاورة تظهر فيها تلك الملامح بصورة أكثر وضوحاً، ويمكننا أن نستخلص تقارب الأزياء الشعبية في سوريا مع الأزياء الشعبية بجيرانها (العراق - الأردن - فلسطين - لبنان) من حيث الشكل العام وخطوط التفصيل وتوزيع الزخارف ، هذا على الرغم من أن لكل شعب من تلك الشعوب أزياء معينة تعلن عن هويته وتجسد شخصيته القومية والحضارية . هذا بالإضافة إلى أن منطقة الشام كانت في الماضي منطقة واحدة ممتدة الأطراف لا يفصل بينها حدود، ثم دخلها الاستعمار الإنجليزي والفرنسي وقسمها إلى عدة دول هي سوريا ولبنان، وفلسطين والأردن؛ بالإضافة إلى العراق . وعلى الرغم من هذا التقسيم الذي استمر بعد الاستقلال وحتى يومنا هذا، إلا أن عادات وتقاليد هذه المنطقة مازالت متقاربة على الرغم من التقسيم، وكذلك التراث الشعبي تتناقله أجيال بعد أجيال وظل محتفظاً بأصالته ووجوده ولازال يتوارثه الأفراد والجماعات والشعوب وخاصة في الريف والمدن الصغيرة والأحياء القديمة .

والأزياء الشعبية في هذه المنطقة هي أحد الفنون التراثية الأصيلة التي حافظ عليها أهل المنطقة، ويوجد تشابه في كثير من الأزياء بين دول المنطقة ، وقد ساعد على ذلك امتداد الأراضي بين هذه الدول التي لا يفصل بينها جبال شاهقة أو بحار مما ساعد ويسر عملية نقل الحضارة والتراث بين شعوبها .

وفيما يلي توضيحاً لأوجه التشابه بين الأزياء التراثية لسوريا والبلدان المحيطة بها ، وهي فلسطين ، الأردن ، لبنان ، العراق .

الفصل الأول

الثقافة الشعبية للأزياء في فلسطين
(نساء - رجال)

أولاً : التراث الشعبى لأزياء النساء فى فلسطين

إن أهم ما يميز الأزياء الشعبىة الفلسطينية هو فن الزخرفة «التطريز» التى تزينه، وهى تختلف باختلاف المناطق والقرى ، إذ تميز كل منطقة عن الأخرى، فمن خلال نوع وزخرفة ولون الزى يمكن معرفة البلد التى ينتمى إليها .

وتتكون الأزياء من الآتى :

الثوب :

تتقارب الأزياء التراثية لنساء فلسطين فى المناطق المختلفة من حيث الشكل والتفصيل فجميعها ذات أكمام طويلة ، ضيقة أو ذات أردان «ردون» تختلف اتساعها من ثوب إلى آخر، فملابس البدو بصفة عامة أكمامها طويلة عن القاطنين فى القرى، كما تختلف شكل فتحة العنق فاحيانا تكون مربعة واسعة نوعاً ما، واحياناً تكون مستديرة حول العنق بها فتحة طويلة تمتد على طول الصدر حوالى ١٨ سم. وتختلف تسمية الأثواب (*) من بلدة لأخرى، واختلاف التسمية ليعنى أن هناك اختلاف فيما بينها ولكن يعود إلى ما يحلها من زخارف وتطريز . وتتصف هذه الثياب غالباً بالألوان الداكنة كالأسود والبازنجانى والبني ، إلا أن هناك بعض الثياب تصنع من قماش أبيض (**).

والصور التالية رقم (١٢) توضح أوجه التشابه بين الأزياء الشعبىة لسوريا والأزياء فى فلسطين . فهى لثوب ذو أكمام ضيقة من السنان الأسود ومطرزة بغرزة الصليب بالخيوط المعدنية، ويتركز التطريز فى الأمام بشكل مربع كبير ملئ بالزخارف ، أما منتصف الأكمام فمزين برسوم أشخاص وزخارف نباتية، وتكرر هذه الزخارف النباتية فى كل من الأمام والخلف فى صورة كنارات طولية، وهى

(*) من هذه الثياب : «الثوب المدلاوى» و«ثوب التوبيت» (السبعابوى)، و«الثوب المرقوم» و«الثوب التلحمى» (ثوب الملكة) و«ثوب الزم أو العرووق»، و«ثوب المنس» (ثوب القدس) ، و«ثوب الجلابية» .

(**) «كالثوب الشروقى» و«الثوب الدجانى» ، والثوب المقلم فيصنع من حرير مخطط طولياً بخطوط ملونة .

مشابهة لثوب النساء فى قرى حلب لوحة (رقم ١٨) والنموذج (رقم ١٧) .

والصورة رقم (١٣) لثوب ذو أردان واسعة ، وهى مشابهة للوحة رقم (١٠) ورقم (١١) لثوب النساء فى القلمون والنموذج رقم (٩) بسوريا من حيث الشكل البنائى أما التوزيع الزخرفى عليها فيتشابه فى تركيز الزخارف على مقدمة الثوب والأردان مع الاختلاف فى كم هذه الزخارف ومكان توزيعها على كل من البدن والأردان .

وتثبتت النساء الفلسطينيات الثوب بحزام يكون مشغول فى بعض الأحيان صورة رقم (١٤) وهو نفس الأسلوب المتبع فى بعض المناطق فى سوريا وخاصة فى الساحل السورى لوحة (رقم ٣) وفى جبل العرب لوحة رقم (٤) وفى قرى حلب لوحة رقم (١٨) .

وترتدى النساء الفلسطينيات فى بعض المناطق فوق الثياب نوعاً من المعاطف وهى :

الصدرية :

وتكون مغلقة من الأمام والخلف وبدون أكمام، مفتوحة من الكتف الأيسر والجانب الأيمن حتى تتمكن الفتاة من ارتدائها، ويغلق كل منها بزرين وتصل الصدرية حتى الخصر وتطرز من الأمام بوحدات زخرفية هندسية (المزين - ٧٥) وهى غير مشابهة للصدريات التى ترتديها النساء فى الساحل الشمالى وجبل العرب بسوريا من حيث الشكل ولكن أسلوب توزيع الزخارف عليها كثير الشبه بالجزء العلوى من الثوب فى داريا بسوريا .

التقصيرة :

وهى معطف قصير مفتوح من الأمام له ياقة مرتفعة حوالى ٤ سم، يصنع من قماش القطيفة ، غالبا ما يكون من اللون الأزرق أو الأحمر ويطرز بزخارف هندسية لينة الخطوط الصورة (رقم ١٥) توضح التقصيرة . وهذه التقصيرة مشابهة للقطشية، التى ترتديها النساء فى حوران بسوريا لوحة (رقم ٨) ، كما أنها مشابهة أيضا للدامر، الذى يشبه المعطف القصير الذى ترتديه النساء فى دير الزور بسوريا وثوب البادية أيضا لوحة (رقم ١٧) .

القفتان (الصرطلية) :

وهو معطف مفتوح من الأمام حتى النهاية ، يغلق من أعلى فقط بواسطة ثلاثة أزرار أو كلابات ، وغالباً ما يحلى بالتطريز والكلف المضافة كالقيطان والجزاج والصور أرقام (١٦ ، ١٧) توضح ذلك وهي مشابهة لدراعة النساء في القلمون بسوريا لوحة (رقم ١١) والحسكة لوحة (رقم ١٥) والزيون الذي ترتديه النساء في دير الزور فوق الثوب .

وترتدى المرأة الفلسطينية العباءة عند الخروج حيث تضعها على رأسها وتلف بها جسمها ، وهي نوعان إما سوداء وإما مخططة بخطوط ذهبية وإما رمادية ، وتعرف بالعباءة الأطلس صورة (رقم ١٨ ، ١٩) وهذه العباءة مشابهة لعباءة النساء في دير الزور لوحة (رقم ١٣) ، وهذه العباءة مشابهة أيضاً للإزار الذي تستخدمه المرأة في المدن السورية القديمة حيث تلتحف به المرأة من الرأس حتى القدمين وأيضاً الملاة .

وهذا التشابه في الأردية الخارجية راجع إلى أن المرأة الشرقية في الأصل كانت تخفي معالم جسمها كله عند خروجها من المنزل .

أما عن أغطية الرأس في فلسطين فقد استخدمت أنواعاً متعددة منها ما يسمى الشاس أو «الغرفة» أو «الحزقة» وهي قطعة مستطيلة من القماش الأبيض تنتهي بشراشيب من نفس القماش ويوجد منه لون أسود له نفس الشكل مع إضافة بعض الوحدات الزخرفية وتتشابه مع بعض أغطية الرأس التي ترتديها النساء في دير الزور .

السروال :

يتميز بأنه مطرز بزخارف جميلة تكاد تغطي الجزء السفلي الممتد من القدمين حتى الركبتين والسروال يتشابه مع السروال في سوريا .

ثانياً : التراث الشعبي لأزياء الرجال في فلسطين

تعددت الأردية الخاصة بالرجال وهي :

١- القمباز :

وهو البدلة الشعبية الفلسطينية والقمباز يتكون من الدماية والجاكيت .

أ - الدماية : وتصنع من القماش القطنى أو الكتانى ومن قماش الأطلس أو الصوف ، وهي عبارة عن ثوب طويل ممتد من الكتف حتى القدمين مفتوح من الأمام من أعلى حتى القدمين ، وليس للدماية «ياقة» وتتكون من الأمام من قطعتين واسعتين ، توضع أحدهما فوق الأخرى وتثبت بواسطة رباطات داخلية وخارجية ، أما الأكمام فهي مثل أكمام القميص ولكنها بدون أساور صورة (رقم ٢٠) وهي مشابهة للوحة (رقم ٢٤ ، ٢٥) لقمباز كبار السن بسوريا .

ب- الجاكيت : وهو الجزء المكمل للدماية ، ويصل في الغالب إلى قرب الركبة ويصنع من نفس قماش الدماية في الغالب ، وهي مشابهة من حيث الوصف للعباءة القصيرة الآشورية التي يرتديها الرجال في شمال وشرق سوريا لوحة (رقم ٢١) .

٢- الهرم أو الخلق :

وهو مثل القميص ليس له ياقة وأكمامه تصل إلى قرب الرسغين صورة (رقم ٢١) وهو مشابه للقطشية السورية في لوحة (رقم ٢٣) وفي طريقة تفصيلها وارتدائها مع اختلاف عدم وجود الأكمام .

٣- الصديري :

عبارة عن جاكيت من الصوف أسود اللون بدون أكمام وأحياناً بأكمام ، وبدون ياقة وله زراير مقصبة تمتد بطول الفتحة الأمامية .

٤- العباءة :

عبارة عن لباس صوفى مغلق من الظهر ومفتوح من الأمام حتى القدمين ،

والعباءة لها فتحتان جانبيتان واسعتان، يدخل من خلالهما الذراعان وتزين فتحتى الأكمام والفتحة الأمامية بالخىوط الذهبية أو الفضية السوداء وهى تشبه العباءة الرجالية السورية لوحة (رقم ٢٠) .

٥- أغطية الرأس :

الحطة والعقال قارن صورة (رقم ٢١) باللوحات أرقام (١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤) بسوريا .

الفصل الثاني

الفوائد الشعبية للأزياء في
المملكة الأردنية الهاشمية

مقدمة :

إن الأزياء الشعبية فن فطري فيه صدق التعبير والأصالة ، وهو فن موروث يتناقله الأبناء عن الآباء، والآباء عن الأجداد، ليس لها مصمم بعينه، بل إن مصممها الأصلي هو الشعب عامة ، وخاصة الطبقة الشعبية ويشترك أفرادها في نقلها ويقائها تراثاً قومياً .

ولقد تميزت الأزياء الشعبية للمرأة الأردنية بوجه عام بالزى المتسع الطويل ذو الأكمام الطويلة، ويصنع عادة من لون أسود أو لون غامق، ترتدى معه غطاء رأس مرتفع في معظم الأحيان ويغطي معظم الشعر والرأس، مثلها مثل معظم الأزياء في البلاد المجاورة مثل سوريا ولبنان .

واللوحات التالية توضح بعض طرز الأزياء التراثية الأردنية وأوجه التشابه بينها وبين سوريا .

لوحة (رقم ٢٦) ، زى منطقة سحاب بالأردن :

* يتميز هذا الزى بالفتحة العميقة على شكل رقم ٧، ويطرز طرفها بكنار عريض بزخارف نباتية وهندسية، وقد تكرر هذا الكنار على طرف الكم والذيل. وقد استخدمت المرأة السورية أيضا فتحات العنق على شكل ٧ في ملابسها الخارجية مثل اللوحة (رقم ٢ ، ٦) .

* غطاء الرأس الذي يرتدى مع هذا الزى يتميز بعدم المبالغة في الضخامة أو الارتفاع، وترتدى معه طرحة تغطي الصدر وفتحة الزى المتسعة. وهو يشبه إلى حد كبير غطاء الرأس الذي ارتدته المرأة السورية في محافظة حمص كما في اللوحة (رقم ٢)، وكذلك يشبه غطاء الرأس في دير الزور كما في اللوحة (رقم ١٢) .

لوحة (رقم ٢٧) زى قبائل بني صخر (*) بالأردن :

* يتميز هذا الزى من جزءين، الخارجى قصير نسبياً يصل طوله إلى منتصف الساقين تقريباً، وبه زخارف نباتية على شكل خطوط طويلة

(*) تسكن هذه القبائل جنوب شرق عمان حيث يوجد قصر المشتي الأموي (خلفية الصورة).

عريضة، ويظهر من أسفل الزى السابق زى آخر طويل يصل إلى القدمين وبه تطريز رفيع بسيط بشكل عرضي، ويظهر الكم الطويل من لون مخالف أسفل الزى الخارجي .

* والمرأة الأردنية مغرمة بارتداء القلادات المماثلة في الشكل للقلادات التي ارتدتها المرأة السورية، والقلادة في هذه اللوحة مثلثة الشكل يتدلى منها خمسة عملات معدنية متصلة بالمثلث بسلاسل وقد تشابهت قلادات المرأة في الأردن بمثلاتها للمرأة السورية في الشكل العام وفي الخامات المصنوعة منها، إلا أنها اختلفت قليلاً في بعض التفاصيل عن الأشكال الأردنية فكانت مستديرة أو بها هلال أو من العملات .

لوحة (رقم ٢٨) الزى في منطقة «قضاء السلط» (*) بالأردن :

* الزى الخارجي بفتحة عنق صغيرة مثل زى المرأة السورية في اللوحات (رقم ١٠، ١٨) .

* غطاء الرأس المرتفع قريب الشكل من غطاء الرأس للمرأة السورية في «داريا» بالقرب من دمشق كما في اللوحة (رقم ٥) .

* ارتدت المرأة الأردنية في «قضاء السلط» فوق غطاء الرأس طرحة مثل المرأة السورية في حماه وحمص كما في اللوحة (رقم ١) إلا أنهما يختلفان في نوع القماش المصنوع منها ، حيث صنعت من القماش المطبوع في سوريا في حين أن المرأة الأردنية اهتمت بتطريز الطرحة بخطوط من الخيوط الملونة .

* إن غطاء الرأس السابق مع الطرحة للمرأة الأردنية، يشبه إلى حد كبير طرحة المرأة في القلمون بسوريا كما يتضح من اللوحة رقم (١٠) وهي من قماش شفاف فاتح ، في حين ارتدت المرأة الأردنية الطرحة من القماش السميك الأسود .

(*) منطقة «قضاء السلط» تكثر فيها بساتين الفاكة في الجبال والوديان .

لوحة (رقم ٢٩) زى «قضاء عجلون»، بالأردن :

* إن غطاء الرأس الذى يرتدى مع هذا الزى قريب الشكل من غطاء الرأس للمرأة السورية باللوحة رقم (٩) حيث يرتفع عن الرأس مثل العمة ويتدلى من أسفله المنديل الذى يغطى العنق وأعلى الصدر فى ثنابات رقيقة مع وجود العملات المعدنية المستديرة على جانبي الوجه وعلى الجبهة.

* نلاحظ وجود الشراشيب فى هذا الزى وهو ما استخدمته المرأة السورية مثل لوحة (رقم ٦، ٧) .

* الحلى المعدنية من السمات الأساسية المصاحبة لأزياء المرأة الشعبية فى مناطق سوريا وجيرانها وخاصة بالأردن . فنلاحظ القلادة فى هذه اللوحة المثلثة الشكل يتدلى منها مجموعة من الأهل المتصلة بسلاسل، وهذه القلادة استخدمتها نساء عرب البادية فى سوريا كما فى لوحة رقم (١٧) .

لوحة (رقم ٣٠) زى قبائل العدوان بالأردن :

* استخدمت المرأة الشعبية فى الأردن اللون الأسود بكثرة فى صنع الأزياء الخارجية الخاصة بها، مع استخدام الوحدات الزخرفية الهندسية المطرزة بالخياطة الملونة. وهى تحاكي المرأة السورية فى ذلك حيث يتضح التشابه من هذا الزى مع أزياء المرأة السورية فى اللوحات أرقام (٢، ٦) .

* غطاء الرأس فى هذه اللوحة مثل اللوحة (رقم ١) للمرأة السورية .

* يتضح التشابه بين شكل المربول الذى يرتدى فوق الزى الخارجى للمرأة الأردنية مع الربول الذى ترتديه المرأة السورية فى اللوحة (رقم ١) .

لوحة (رقم ٣١) الزى فى منطقة «الرمثاء»، بشمال الأردن :

* يتميز هذا الزى بكثرة الزخارف الجانبية مثل زى المرأة السورية فى اللوحة (رقم ٢، ١٨) وكذلك فتحة الزى المتسعة على شكل رقم ٧ مثل الزى السورى فى لوحة (رقم ٢، ٦، ٩) .

* ترتدى المرأة الأردنية فى هذه اللوحة حزام من المعدن، وهو يماثل حزام

المرأة الشعبية السورية في قرى حلب كما في لوحة (رقم ١٨)؛ وكذلك المرأة السورية في جبل العرب كما لوحة (رقم ٤) .

* غطاء الرأس يماثل إلى حد كبير غطاء الرأس في سوريا كما يتضح من اللوحة (رقم ٩) .

* أساور اليد مثل اللوحات (رقم ١٥، ١) .

* الكرديان الكبير الذي ترتديه المرأة الأردنية في هذه اللوحة يعكس حبها الشديد للأكسسوارات وحرصها على ارتدائها، وهو مكون من مجموعة كبيرة من العملات المعدنية المستديرة، وفي المنتصف يتدلى هلال معلق به ثلاثة عملات معدنية مثبت بهم سلاسل قصيرة تنتهي بعملات أيضا، وهو يشبه الكرديان الذي ارتدته المرأة السورية .

لوحة (رقم ٣٢) زى آخر للمرأة الأردنية في منطقة «الرمثاء» :

* الزى يتميز بالزخارف الهندسية المستوحاة من العناصر النباتية والمطرزة بالخيوط الملونة على فتحة العنق العميقة والذيل والفتحات الجانبية وكذلك الأكمام .

* ترتدى المرأة الشعبية في الأردن قميص أو جلباب أسفل الزى الخارجي وهذا مانراه مع المرأة في سوريا مثل اللوحات (أرقام ١، ٥، ٧، ٨، ١٠)

* تستخدم المرأة الأردنية الشراشيب في تزيين أزيائها وهي تحاكي في ذلك المرأة السورية كما يتضح من اللوحة (رقم ٦، ٧) .

* تحلى المرأة الأردنية بالحلى المعدنية والعملات الفضية كما يتضح من هذه اللوحة وهي عبارة عن قلادة مستطيلة الشكل من المعدن تعلق في العنق بسلسلة معدنية طويلة، يتدلى من المستطيل سلاسل قصيرة في نهايتها عملات معدنية مستديرة، وهي تشبه قلادة المرأة السورية .

الفصل الثالث
الغرائب الشعبية للأزياء
في الجمهورية اللبنانية

مقدمة :

يشكل الزي الشعبي في أي بلد من البلدان جزءاً من التراث وعنواناً له لارتباطه وعلى نحو وثيق بالعادات والتقاليد والمؤثرات البيئية والاقتصادية والاجتماعية على مر الزمن ، لذا كان الزي الشعبي هو الإطار الأكثر جاذبية في عملية التمايز بين الشعوب، ويمثل صورة عن المجتمع والحياة في هذا البلد أو ذلك ويشكل مرجعاً وطنياً لأهل البلد .

والزي الشعبي اللبناني ينبثق عن الزي الشرقي في منطقة الشام عامة ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً، نظراً للعوامل المتعددة المشتركة بين دول المنطقة كالقيم الاجتماعية والأخلاقية، والثقافة والظروف السياسية والاقتصادية .

ولكن يبقى لكل بلد بعض الخصائص القليلة التي تميزه عن غيره وينعكس هذا التغيير على الزي ونوعية القماش المستخدم وطريقة تزيينه وزخرفته . هذا بالإضافة إلى أن بعض التصاميم قد تدخل على الزي الشعبي نتيجة تجاور المجتمعات والحضارات والبلاد، أو عن طريق التبادل التجاري بين شعوب المنطقة، وقد انعكس ذلك على الزي اللبناني الشعبي الذي اقتبس بعض الأشياء، ولكن بما يتلاءم مع الأوضاع الاجتماعية السائدة، فقد دخلت أنواع من الأقمشة كالمخمل (القطيفة) الذي أخذ عن الإيطاليين ، أيضاً دخل شكل التايور (تنورة وجاكيت) عن الأتراك، كما اقتبس كثرة التطريز من العثمانيين .

لقد اكتسب الزي الشعبي اللبناني ملامحه العامة في مطلع القرن السابع عشر، وقد كان زي العائلة الحاكمة يتصف بالرصانة والوقار، وكانت «الحطة» البيضاء هي الصفة الرئيسية التي تميز بها . أما الألوان التي استعملت فقد اقتصر على اللونين الأبيض والأسود للعائلة الحاكمة بينما ارتدت النساء من عامة الشعب الألوان الزاهية .

أما التصميم القديم الذي اشتهر به الزي فهو السروال الفضفاض والقميص ذو الأكمام الطويلة (التي تكون لها في بعض الأحيان «أردان» تصل إلى الساقين) .

وقد تزينت المرأة اللبنانية في كل العصور بالحلى التى صنعت من الفضة أو النحاس، ومنها الخواتم والمعاضد والأساور والأحزمة، وهذه الحلى القديمة مازالت تنافس الاكسسوارات العصرية نظراً لأصالتها وجاذبيتها ودقة صناعتها، وقد استخدم الحرير فى ملابس الطبقة الحاكمة فقط لارتفاع أسعاره، ولكن عامة الشعب ارتدوا الملابس المصنوعة من القطن .

وإذا نظرنا إلى الأزياء الخارجية للمرأة فى المناطق الشعبية فى لبنان، نجدها تتشابه مع الأزياء الخارجية للمرأة فى المناطق الشعبية فى سوريا .

لوحة (رقم ٣٣) زى تقليدى لبنانى :

* على سبيل المثال فإن هذه اللوحة لزي شعبى لبنانى نجد أن سماته العامة تتقارب مع زى المرأة السورية من حيث الاتساع وأشكال الزخارف وأماكنها، وكذلك الزخارف المحيطة بفتحات العنق أى كان شكلها .

* نلاحظ أن غطاء الرأس لهذه المرأة يختلف عن أغطية الرأس لمنطقة الشام، فهو عبارة عن شكل قمعى طويل ينسدل من أعلاه طرحه شفافة بيضاء، وهذه الطرحة الشفافة تماثل الطرحة التى ارتدتها المرأة السورية على الساحل وجبل العرب كما فى اللوحة (رقم ٤) وكذلك المرأة السورية فى القلمون، لوحة رقم (١٠، ١١) .

لوحة (رقم ٣٤) زى تقليدى لبنانى :

* هذا الزى يتكون من عدة طبقات، كل طبقة من لون مخالف، مكون من ثلاثة ألوان (الكريم مع الأزرق) مع تحديد خط الوسط، وفوقها زى متسع من اللون الأخضر (مثل الدراعة فى الأزياء السورية) مثبت على طرفه من الأمام وعلى الذيل شريط ذهبى مطرز. وهذا الزى يشبه زى المرأة السورية فى منطقة جبل العرب والساحل السوري .

* أما غطاء الرأس فيتكون من العمة والطرحة مثبتة ببعض الزهور، وهو يشبه غطاء الرأس فى العديد من المناطق بسوريا .

لوحة (رقم ٣٥) :

صورة لسيدة لبنانية ترتدى الصديرى ذو فتحة الصدر المستديرة العميقة، الصديرى قصير من القطيفة السوداء بكم طويل، يطرز حوافه بوحدات زخرفية

دقيقة، هذا الصديري قريب من الصديرية، التي ترتديها المرأة السورية في منطقة جبل العرب على الساحل .

ترتدى هذه السيدة اللبنانية الصديري فوق قميص أحمر متسع ، وتنورة (جونلة) طويلة بكرنيز عريض من أسفل من اللون الذهبي .

نلاحظ أيضا أن غطاء الرأس المكون من الطربوش الأحمر المزين بالعملات المعدنية التي تتدلى على الجبهة وكذلك الحلقات والأشكال المربعة الصغيرة، يماثل إلى حد كبير شكل الطربوش الذي ترتديه المرأة الشعبية في مناطق الساحل السوري بجبل العرب، ويثبت فوق الطربوش الطرحة التي تعد من مظاهر الحشمة والتستر في منطقة الساحل ببلاد الشام .

لوحة (رقم ٣٦) :

صورة لسيدة لبنانية ترتدى الصديري القصير حتى الوسط ذو الكم الطويل الذي عرف أيضا في سوريا في منطقة عرب البادية ويعرف «بالدامر» ويصنع من اللون الأسود أو الأزرق الداكن ومطرز بتطريز كثيف بالخيوط الذهبية، وهو مفتوح من الأمام ليظهر من أسفله القميص الأبيض الرقيق، يرتدى فوق سروال واسع طويل ويضم عند الكاحل بأستك. ترتدى السيدة مع هذا الزي الشعبي حزامين على الخصر من اللون الأحمر والذهبي ويتدلا طرفاهما على الجانب الأيمن .

من الحلى الشعبية أيضا العقد العريض الذي ترتديه حول العنق ، ويتدلى منه حبات صغيرة مستديرة .

الفصل الرابع
الثقافة الشعبية للأزدياء
في الجمهورية العراقية

مقدمة :

إن زى المرأة الشعبية في مدن وقرى العراق لاختلف كثيراً عن الأزياء في منطقة الشام بسوريا والأردن وفلسطين، هذا بالإضافة إلى تأثرها بحضارة مابين النهرين. وسيوضح فيما يلي تشابه كثير من أزياء العراق مع أزياء البلاد المجاورة لها، وقد يختلف المسمى فقط في بعض الأحيان .

وفيما يلي شرح لأنواع هذه الأزياء :

السروال :

سروال المرأة البغدادية كان واسعاً وطويلاً إلى الكعبين، ولكنه يختفي تحت سائر الألبسة، وكان يخاط عادة من الحرير الملون الرقيق الزاهي، وقد يطرز أطرافه السفلى بخيوط الأبريم .

القميص :

إن قمصان النساء في بغداد كانت عادة من الحرير الملون ، كما اتصفت أكامها بالاتساع والطول. وبعضها يصنع من الشاس الموصلى المطرز بالحرير الملون بلون الذهب، ومفتوحة من الأمام مثل القميص الأوربي. ويرتدونه فوق السروال وليس تحته كما يفعل الأوروبيون .

والقميص هو الملابس الرئيسي للرجل والمرأة وهو عبارة عن ثوب مكون من قطع عديدة (قصات) مخيطة، وله أكام طويلة وفتحة من الأمام تسمى «الجيب» لايتعدى طولها شبراً، ويمكن غلقها بواسطة أزرار من لون القماش، والذي يكون غالباً من القطن الأبيض (خام الشام) أو (همايون) وكانت تطرز تطريزاً جميلاً حول العنق وعلى طول الصدر والأرداف بخيوط الذهب والفضة والحرير الملون (الجادر- ١٩٧٩) عن (ليلى البسام - ١٩٨٥) .

الدراعة :

حافظت المرأة البدوية في العراق على ارتداء «الدراعة» . وهي عبارة عن

قميص مفتوح من الأمام مغلق بأزرار وعري. وهي من ألبسة النساء ثم لبسها الرجال، وقد احتفظت «الدراعة» بشكلها العام في العصر العباسي، ولبسها الخلفاء والوزراء والأغنياء كما لبسها الفقراء. وهي من الأزياء الأساسية في سوريا وخاصة في منطقة القلمون - كما سبق شرحه في الفصل الثاني من الباب الأول .

القباء أو الزيون أو الصاية :

كلمة «زيون» من أصل تركي تعني الثوب (حمامي ١٩٧٢) يصل إلى تحت الركبتين مفتوحاً من الأمام ويحزم من الوسط، ويصنع من قماش الحرير أو الجوخ أو المخمل أو القطن، له فتحتان جانبيتان صغيرتان من أسفل، يطرز بزخارف نباتية أوهندسية من الأمام والخلف . كما سبق شرحه . إن «القباء» يعرف كذلك باسم «الزيون» أو «الصاية» في العراق، وهو عبارة عن قميص مفتوح من الأمام ومن أعلى إلى أسفل، يشد إلى الخصر بواسطة حزام أو قماش مستطيل على هيئة الحزام، وقد اعتنى بتطريزه بخيوط الذهب والفضة، وبعبارات مكتوبة منها (ملبوس العافية)، ويوضح أن هذا التقليد معروف جيداً عند صنّاع الطرز في العراق منذ عصور الإسلام الأولى. ومن أنواعه «دك الليرة» (دق الليرة) والتسمية مأخوذة من النقوش التي تكون على شكل دوائر تشبه الليرة (العملة) وأيضاً «زيون زرى» ومنه الهندي والفارسي (الجادر- ٧٩) عن (ليلي البسام - ١٩٨٥) .

إن «القباء» : (في العهد العباسي) زي مفتوح من الأمام، ينضم جانبا إلى بعضهما، بحيث تتكون معه فتحة على شكل (V)، ويكون الجانب الأيمن فوق الأيسر. وهو يكون طويلاً بحيث يمتد إلى القدمين، كما أنه فضفاض وله كمان طويلان واسعان (العبيدي - ١٩٨٠) عن (ليلي البسام - ١٩٨٥) إن كلمة «صاية» أصلها «ساية» وهي كلمة تركية، وقد عرفت المرأة العراقية هذا الزي، ويوصف بأنه رداء طويل ذو كمين مفتوح من الأمام، حيث تكلم جهته من قرب المحزم بكلاب معدني أو فضي والموسرات يصنعه من الذهب، كما أن الصاية تلبس في فصل الصيف، وتصنع من الأقمشة الحريرية الشفافة، وغالباً ما يكون لونها أسود سادة أو مطرزاً وترتدى من سن الثلاثين فما فوق . (الحجية- ١٩٨١) عن (ليلي البسام- ١٩٨٥) .

ويتفق وصف الصاية أو الزيون مع الزي المسمى «الفقطان» أو «الصرطلية» في فلسطين، حيث يصفه بأنه معطف مفتوح من الأمام حتى النهاية، يغلق من أعلى فقط بواسطة أزرار أو كلابات. وغالباً ما يحلى بالتطريز والكلف المضافة كالفقطان والزرزاج (المزين - ١٩٨١) عن (ليلي البسام - ١٩٨٥).

الهاشمي :

الزي المعروف «بالهاشمي» في العراق هو زي فضفاض من قماش رقيق جداً وغالباً ما يكون من الحرير، وهو واسع الأكمام والأطراف تلبسه المرأة فوق الزيون فيشف عما تحته، كما ينسب المؤلف هذا النوع من الثياب إلى نسوة بني هاشم، ويقول أيضاً أنه جاء العراق عن طريق الكويت (الجادر عن ليلي البسام).

ويوجد «الهاشمي» في بغداد كزي مرغوب لبسه لدى النساء في الحفلات والأعياد. وهو يصنع من أقمشة رقيقة شفافة، ويغلب عليه اللون الأسود إلا أنه يحلو للشابات ارتداء الملون منه، كما أنه يطرز بخيوط الذهب. و«الهاشمي» فتحة على الصدر، ويتميز بأكمامه الواسعة، كما أنه عريض، ويزيد من عرضه وجود «خشاتك» مخططة في جانبيه. والخشتك كلمة فارسية بمعنى قطعة مثلثة من نفس القماش تخاط بالثوب تحت الأبط، وتعرف في بغداد باسم «فروخ». أما من حيث الطول فالهاشمي طويل يغطي الكعبين. ويلبس هذا الزي فوق الملابس، وغالباً ما يلبس فوق «الصاية» (الحجية عن ليلي البسام).

الملابس الخارجية - العباءة :

إن العباءة هي اللباس المميز للبدو في جميع الأزمنة فالعباءة في العراق قد تفنن في تنوعها واستعمالها فاتخذوها من الصوف المغزول والقز والجوخ والوبر وغير ذلك من المنسوجات (جواد - ١٩٧٤) عن (ليلي البسام - ١٩٨٥).

إن العباءة من أنواع الأردية الكثيرة التي تلبس فوق الثياب مثل «الحبرة» و«الإزار» و«الملحفة». والسواد الأعظم من نساء العراق كن يتخذن من الإزار لباساً خارجياً. أما بالنسبة لأغطية الوجه فكانت «البيجة»، وهي نفسها «البوشي» كما يسميها العراقيون اليوم. أما «المقنعة» فإن جزءها العلوي يوضع على الرأس، والباقي منها يغطي الوجه، وينزل ليصل حتى الخصر. وهذا الشكل كان معروفاً من قبل النساء العربيات بشكل عام منذ بداية الإسلام. أما «الفوطة» فهي نوع من

ألبسة الرأس في العراق، تصنع من نسيج أسود، وأحياناً تكون من الحرير تلفها المرأة على رأسها وتغطي صدرها، وتسمى في جنوب العراق بالشال أو الشيلة، وهي مازالت تستخدم حتى الآن (الجادر عن ليلى البسام) .

إن «الإزار» من الألبسة الخارجية للمرأة، التي ظهرت في العصور الإسلامية. وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلف على أسفل الجسم ويلفح به أعلاه، ويعقد عند الخصر (صبيحة رشدي ١٩٨٠ عن ليلى البسام) .

وقد لوحظ بعد دراسة الآثار الإسلامية أن المرأة في العصر العباسي كانت تلبس الجلباب لتغطي به رأسها وجسمها عند الخروج (العبيدي - ١٩٨٠ عن ليلى البسام) .

وقبل شيوع استعمال «العباءة» السوداء كانت المرأة البغدادية ترتدي «الإزار» وهو عبارة عن نسيج من القطن أو الحرير محلى بنقوش يتكون من فجتين (أى عرضين من القماش) مخاطين مع بعضهما على شكل مربع، تلف المرأة به جسمها من الرأس حتى القدم، ويثبت من الأمام بكلايات معدنية. وقد ارتدت المرأة فيما بعد عباءتين تضع الأولى على كتفيها وتلف بها جسمها، وتسمى (الفوقانية) كما استخدمت العباءة الملونة من قبل الشابات، أما أغطية الرأس فكانت المرأة تستخدم أنواعاً كثيرة منها، مثل «القوطة» أو «الشيلة» وهي من نسيج الحرير الأسود (الابريسم). (الحجية - ١٩٨١ عن ليلى البسام) .

المنسوجات في العراق :

إن أهل العراق كانوا يسمون الحرير قبل غزله «قزاً» وبعد غزله «ابريسماً» وعند خلطه بالصوف «خزاً» وإذا صبغ «الابريسم» بالألوان سموه «حريراً». إما الديباج فيوضح أنها كلمة فارسية معربة، أصلها «ديوباف» أى نساجة الجن، وهذا كناية عن امتيازها وصعوبة نسجه، ومنه دبج المطر الأرض أى روضها . (الجادر عن ليلى البسام) .

وقد اشتهر العراق بأقمشة الديباج إلا أن المعاجم لم تعط وصفاً أو تحديداً يمكن به تمييز الديباج من غيره من المنسوجات الحريرية . (سعاد ماهر - ١٩٧٧) .

وقد انتشرت صناعة النسيج في جميع المدن الإسلامية في العصر العباسي وانتاجها لأنواع متعددة من المنسوجات، وأن المدن المصرية كانت في المقدمة، كما شهد العصر العباسي من ازدهار في صناعة الأقمشة ونسجها ومارافق ذلك من تنوع وتفنن في أشكال الملابس وطرق زخرفتها وتعدد ألوانها، موضحاً تأثير اختلاف عادات وتقاليده شعوب الأقاليم التي تتبع الدولة العباسية باعتبارها أحد العوامل المساعدة على حدوث هذا التنوع (العبيدي - ١٩٨٠ عن ليلي البسام).

الأحذية :

في العراق ارتدت النساء النعال أو الأحذية الصفراء. وقد تحدث دوزي عن كلمة «مداس» فيقول أن (النويري) استعمل كلمة «مداس» كمرادف لكلمة «نعل». ويقول إن هناك نوعاً من النعال كان يصنع من جلد البعير.

وعن ألبسة القدم عند العراقيين فقد اشتهروا في حقل صناعة الأحذية والدباغة وتلوين الجلود منذ عهد الآشوريين. كما أنهم استخدموا نسيج الصوف في صناعة الأحذية الملكية، ذلك للاستعمالات الداخلية في البلاط. كما يوضح أن لطبيعة المناطق الجغرافية المتعددة في العراق تأثيرها على تعدد أشكال ألبسة القدم، أما الظروف الاقتصادية فكانت تؤثر على اختيار المواد الأولية وما يتممها من مكملات، التي تصل أحياناً إلى حد استخدام الحلي والجواهر. كما أن الخف من أكثر الأنواع شيوعاً سواء في العراق أو في البلاد العربية والإسلامية الأخرى، وهو يلبس في القدم ويكون أطول من النعل. وقد حاولت النساء إظهار أنفسهن بمظهر مغاير للرجال، فكن يلبسن فوق الخف الاعتيادي خفاً آخر، كما أنهن كن يلبسن الملون منها مع مراعاة انسجام تلك الألوان مع الثياب. ومن الأنواع الأخرى، «النعال» وكذلك «القباقيب» الخشبية التي ظهر منها أنواع ذات كعب عال. أما الحذاء المعروف «باليمنى» فقد كان يصنع في الشام وفي العراق كما استخدمت النساء البدويات «الزربول» ومن الأنواع التي تغطي القدم والساق يذكر «البوتين» و«الجدك». كما استخدم العراقيين الجوارب مع الحذاء (الجادر - ١٩٧٩ عن ليلي البسام).

إن هناك اختلافاً بين لباس القدم للمرأة ولباس القدم للرجل (في العصر العباسي الثاني) فهي وإن تشابهت في أسمائها إلا أنها تختلف من حيث الشكل،

واللون ، والمواد الأولية التي تصنع منها، والمناسبة التي تستخدم فيها. ومن مشاهدات المؤلف لصور الآثار في تلك الحقبة يصف بعض أنواع ألبسة القدم لدى المرأة والتي لم تشر إليها المصادر التاريخية، فيصف نوعاً من الأحذية الملتصقة بالقدم، أيضاً يوجد حذاء له كعب، وينتهي من الأمام بشكل مدبب، وله رقبة مرتفعة وواسعة بعض الشيء. كما شاركت النساء الرجال في لبس «الخف» وكذلك «النعال» واستخدم النسيج في صناعة النعال للنساء إلى جانب الجلد، كما استخدم «الطيب» مثل المسك والعنبر بين طبقات نسيج النعال (العبيدي عن ليلى البسام) .

وعن ألبسة القدم في بغداد يوجد حذاء يسمى «البابوج» وهو حذاء جلدي كعبه متوسط الارتفاع يغطي الجزء الأمامي من القدم. أما «الجدك» فيصنع من جلد الغنم المدبوغ (الميش) ويصل حتى أسفل الركبة، وهو يلبس مع «المداس» المصنوع من السختيان الأصفر (جلد البقر والماعز) . أما «النعال» فيصنع من الجلد الأسود، وهو عبارة عن قاعدة جلدية بدون كعب ، له شريط واحد من الأمام يثبت في جانبي القاعدة، يغطي مشط قدم المرأة عند ارتدائه. ويوجد أيضاً «اليمنى» وجمعه «يمنيات» وهو نوع من الأحذية كان يستورد من حلب، وقام أهل الموصل بتقليده، ثم انتقل إلى بغداد ويصنع اليمنى من جلد السختيان الأحمر، أما النعل السفلى فيكون من جلد الجاموس. وهناك نوع يسمى «الصرابلي»، وهو حذاء بدون كعب يصنع من الجلد مقدمته معقوفة إلى أعلى . أما «الباباجان» فغطاء يكسو القدم، يستخدم في صناعته فضلات الأقمشة السميقة ، أو الجلد الخفيف، ويلبس فوق الجوارب في البيت أيام الشتاء. كما عرفت نساء بغداد غزل وحياسة الجوارب من الصوف، وأحياناً يضاف إليها قطع من الجلد الرقيق في منطقة الكعب والأصابع لحمايتها . (الحجية عن ليلى البسام) .

الحلى :

لقد عرفت المرأة العراقية تزيين ملابس الرأس بقطع من الحلى الثمينة، كما عرفت أنواع الحلى المختلفة مثل «الأقراط»، و«الخزامة»، و«الأساور»، و«الحجول»، واستخدمت للناية بجمالها «الحناء» للرأس واليدين والقدمين، و«الديرم» لتخضيب الشفاه، كما عرفت الطيب ومنه «المسك»، و«العنبر». من عادات (أشكال) تصفيف

الشعر في العصر العباسي عقربة الجوارى لسوالفهن أى ترتيها على شكل عقرب، وقص الذؤابة إلى مستوى الرقبة، ومد الوفرة حول الأذن والعقرب على الجبين .

وفيما يلي شرح لبعض طرز الأزياء العراقية :

صورة (رقم ٢٢) العباءة :

العباءة زى أساسى للمرأة عند الخروج ترتديها المرأة فى المناطق الشعبية فوق ملابسها الخارجية، فتضعها فوق الرأس لتغطى جسمها بالكامل، وتكون فى الغالب من قماش أسود اللون، بها خيوط ذهبية على الأطراف والخياطات كما فى اللوحة .

وهذه العباءة تشبه عباءة المرأة فى سوريا بمنطقة دير الزور وهى محافظة قريبة من حدود العراق ومناخها مثل مناخ العراق .

صورة (رقم ٢٣) :

* عبارة عن زى خارجى ترتديه المرأة فى المناطق الشعبية بالعراق ، وهو جلباب واسع مصنوع من القماش الأسود بفتحة عنق متسعة قليلا حتى يسهل ارتدائه وهى على شكل رقم ٧ مثبت على طرفها شرائط مذهبية وملونة وكذلك «الزجاج»، هذه الشرائط مثبتة على منتصف الأمام والذيل وطرف الأكمام الواسعة .

* غطاء الرأس عبارة عن منديل يربط على الرأس (عرقية أو عصابة) يثبت فوقها طرحة سوداء من قماش شفاف، طرفها محلى بشرائط ذهبية ويتدلى على الجبهة عملات معدنية مستديرة .

* المرأة فى المناطق الشعبية بالعراق مثلها مثل المرأة السورية والفلسطينية والأردنية مولعة بارتداء الاكسسوار من أساور للمعصم وقلادات كبيرة الحجم - فنرى فى هذه اللوحة قلادة مكونة من إطار حول العنق من المعدن يتدلى منه ثلاثة أهله متدرجة فى الأحجام بداخل كل هلال زخارف معدنية دقيقة الصنع، ويتدلى من طرفى الهلال العلوى الكبير عملتان معدنيتان كبيرتان . أما الهلال الصغير السفلى فيتدلى منه عملات صغيرة الحجم .

وترتدى المرأة مع الكرديان السابق عقد طويل من العملات المعدنية يصل

إلى قرب الوسط، وهذا يعكس ولع المرأة العراقية بارتداء الاكسسوار والمجوهرات والتفاخر بها .

إن غطاء الرأس للنساء في المناطق الشعبية بالعراق مأخوذ عن غطاء الرأس للحضارة القديمة في هذه المنطقة إلى حد كبير .

زي الرجل في المناطق الشعبية :

في الصورة (رقم ٢٢) السابقة نجد في المنتصف شاب عراقي صغير يرتدى الزي العربي المعروف في كل المنطقة العربية، والمكون من الجلابية - العباءة العربية - ولباس الرأس الشهير . وهو زي يماثل الزي الشعبي لبدو الصحراء في سوريا كما في اللوحة رقم (١٩) .

والأزياء الشعبية العراقية السابقة هي أزياء تتردى في الوقت الحاضر وهي مقتبسة من الأزياء الشعبية الأصلية ومأخوذة عنها .